

معاملة غير المسلمين في بلاد الإسلام

يجوز إقرارهم بالجزية في بلاد الإسلام، ويجوز أيضاً عقد العقود المعايدة معهم، وإذا عقدنا معهم معايدة لسبب من الأسباب فإن ذلك لا يدل على المروءة، بل نحن نبغضهم ولو كنا محتاجين إلى معايدة معهم أو نحو ذلك؛ وقد دل على ذلك ما حصل من النبي صلى الله عليه وسلم من عقد المعايدة في الحديبية مع المشركين على وضع الحرب عشر سنين مع الكفار بهذا العقد جائز. وكذلك دل على إقرارهم بالجزية قوله تعالى: { حَتَّىٰ يُعْطُوْا الْجِرْيَةَ عَنْ يَدِ وَهُمْ صَاغِرُوْنَ } يعني: اليهود والنصارى ونحوهم أنه يجوز إقرارناهم على الجزية فإننا نسعى في تحقيقرهم وفي إذلالهم وإهانتهم، ولهذا قال الفقهاء في عقد الذمة قالوا: ولا يجوز تصديرهم في المجالس. أي: لا يجوز أن نجلسهم في صدر المجلس بل يكونون في طرف المجلس إذا احتج إلى إدخالهم في المجالس ونحوها، ولا يجوز القيام لهم احتراماً. ولا يجوز بداعتهم بالسلام، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: { لَا تَبْدِعُوْا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ بِالسَّلَامِ، وَإِذَا لَقِيْتُمُوْهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطِرُوْهُمْ إِلَىٰ أَصْبِقِهِ } أي: ليشعروا بأنهم أذلة، وكذلك لا يجوز أن يرفعوا بنيانهم على بنيان المسلمين إذا بنوا بيوتاً في البلاد الإسلامية فلا تصرير بيوتهم أرفع من بيوت المسلمين؛ لأن { الإِسْلَامُ يَعْلُوْ لَا يَعْلُوْ } كما ورد ذلك في حديث. وإذا ضربت عليهم الجزية فإنهم يمتهنون عند أخذها، وبطالة وقوفهم وتجرب أيديهم لقوله تعالى: { حَتَّىٰ يُعْطُوْا الْجِرْيَةَ عَنْ يَدِ وَهُمْ صَاغِرُوْنَ } فلا يقبل أن يرسل بها خادمه أو ولده، بل لابد أن يأتي بها ويدفعها بيده وبطالة وقوفه عند دفعها وتجرب أيديهم حتى يكون ذلك علاماً على الصغار { عَنْ يَدِ وَهُمْ صَاغِرُوْنَ } وقد عمل بذلك المسلمين في صدر الإسلام، وكان ذلك سبباً في أن كثيراً من أهل الكتابين ومن المجروس دخلوا في الإسلام؛ لما رأوا أن الإسلام يعز من دخله من أسلم منهم، واختار دين الإسلام، وتترك ديانته أكرمناه وقربينا مكانته، وفضلناه على غيره من الكفار واحترمناه. فإننا نحترم كل مسلم ونرفع مكانته، ولو لم يكن قريباً لنا، ولو لم يكن من أسرتنا أو من أهل بلدنا؛ لأننا يجمعنا معه الدين الإسلامي فاما من خالفنا في الدين الإسلامي فإنه أهل أن يحقر وأن يستهان به، وأن يقلل من شأنه فهذا هو معاملة المسلمين مع أعداء الدين . ولا شك أن عداوتهم عداوة قلبية لقوله تعالى: { هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُوهُمْ قَاتِلُهُمُ اللَّهُ أَنِّي يُؤْفِكُوْنَ } هذا في شأن المنافقين، وكذلك الأعداء غيرهم، وقد ورد في الأحاديث النبوية عن مساكنة المشركين أياً كانت ديانتهم ورد بلفظ: { من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله } يعني: إذا استقر معهم فيما بينهم وأظهر المودة لهم وأظهر خدمتهم وأقرهم على دياناتهم وضاحكهم ومازحهم وظهر منه ما يدل على تكريهم وعلى تفضيلهم على المسلمين حكم بأنه مثلهم إما في الدنيا إما في الآخرة، ولا شك أن هذا خطير كبير.